



"كسر الجليد" بين أميركا وإيران

التقييم : ممتاز

2008/7/19

قبل عشرة أيام من انضمامه للمباحثات الإيرانية الأوروبية بشأن برنامج إيران النووي في جنيف، كان السفير وليم بيرنز قد قدم تقييماً حول التحديات الاستراتيجية التي تسببها إيران. التقييم الذي قدمه بيرنز أمام لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس الأميركي في 8 تموز 2008 ركز على نقاط الضعف والخلل التي تعاني منها إيران والرد الأميركي على التحديات التي تخلقها إيران، وكيف يرى مستقبل التعامل مع إيران.

بيرنز لخص التحديات التي يرى أن إيران تلعب دوراً فيها كالعراق ولبنان وفلسطين، وكذلك الطموح النووي الإيراني، كما أنه لم ينكر أن التحدي الإيراني بدأ يواجه صعوبات جديدة بسبب رغبة بعض اللاعبين الإقليميين لعب دور أكبر في العراق وفي لبنان، في إشارة إلى إرسال سفراء عرب، وكذلك اتفاق الدوحة بين الأطراف اللبنانية، وكذلك الخطوات التي تتم على المسار السوري الإسرائيلي.

الرجل الثالث في وزار الخارجية والسفير السابق في روسيا والأردن يصر على أن الإدارة تمارس سياسة تركز على إجبار النظام السياسي على تغيير سلوكه، وأن هذا التغيير ربما يحدث من خلال التحرك على مسارين العقوبات والمواجهة ومسار تقديم الحوافز والتفاوض، وهو الأمر الذي لا تزال الإدارة الأميركية تصر عليه.

مسألة تغيير سلوك النظام كانت قد طرحتها وزيرة الخارجية كوندليزا رايس وهي ذاتها التي تحدثت أن لا عداوة دائمة ولا صداقة دائمة في إشارة إلى احتمالية التفاوض مع الإيرانيين.

يذهب وليم بيرنز بعد عشرة أيام من قراءة تقييمه حول إيران للمشاركة في اجتماعات خافيير سولانا وسعيد جليلي أمين عام مجلس الأمن القومي الإيراني. الطرفان الأميركي والأوروبي يطمحان إلى أن يسمعا من جليلي رداً أكثر وضوحاً حول حزمة الحوافز التي تقدمت بها المجموعة 1+5. الموضوع الأصلي وقف تخصيب اليورانيوم، مسألة سبق الرد عليها اجتماع جنيف، حين وضع قائد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي أن منع إيران من امتلاك تكنولوجيا نووية هو خط أحمر لا يستطيع أي مسؤول إيراني التفاوض بشأنه.

يبدو أن إيران تريد تقديم أسئلة هي أيضاً حول الحوافز التي قدمت لها، هناك حديث حول الضمانات التي يمكن أن تقدمها المجموعة 1+5 حول تنفيذ التزاماتها. الاجتماع على ما يبدو سيكون خطوة لطرح التساؤلات والمخاوف أملاً في وضع جدول زمني للمفاوضات شبيه بالتفاوض الذي جرى مع كوريا الشمالية.

يحدث كل هذا في ظل الحديث عن افتتاح مكتب لرعاية المصالح الأميركية في طهران، وزيارة مستشار الأمن القومي الأميركي استيفان هدلي ووزير الخارجية الإيرانية إلى أنقرة قبل يوم واحد من لقاء جنيف. كل هذه التغييرات ينظر إليها في إطار نوع من كسر الجليد في العلاقة بين واشنطن وطهران، وأنه تحول جذري، ومثير لخيبة الأمل على أقل تقدير. فهذا ما يطالب به باراك أوباما، وهذا ما يريده الإيرانيون، منذ خمس سنوات "كما يذكر جون بولتون المندوب الأميركي في الأمم المتحدة".

لكن؛ هل تبدو هذه القراءة تغييراً في الاستراتيجية الأميركية نحو إيران أم إنها تكتيك جديد للتعامل مع أزمة الملف النووي الإيراني تسعى واشنطن فعل شيء طالما نصحت أن تفعله طوال السنوات الخمس الماضية؟ فقد التقى الأميركيون والإيرانيون مرات عدة بعد أحداث 9/11، لكن ذلك لم يمنع واشنطن أن تعتبر إيران أحد إضلاع محور الشر، والتقى الإيرانيون والأميركيون لحل أزمة الملف الأمني في العراق، وتوقفت الاجتماعات بلا نتيجة إلا المزيد من اتساع الفجوة بين الطرفين.

لقد كانت كل هذه اللقاءات نوعاً من التكتيك لتأمين مصالح مؤقتة لكلا الطرفين تمثلت في التخلص من طالبان في أفغانستان ونظام البعث في العراق، لكن ذلك كله لم يكن يدفع باتجاه إعادة الحرارة إلى العلاقات بين البلدين بالشكل الذي يجعلهما يتعاونان أكثر ويظهران بمظهر الحلفاء.

من المهم النظر إلى أنه حتى يحدث تغيير جوهري في العلاقة بين واشنطن وطهران فلا بد من تغيير في النظرة الاستراتيجية لكل بلد نحو الآخر، فتقييم بيرنز يقول بوضوح بأن التفاوض في ظل وجود كل هذه العيوب ومكامن الخلل في إيران يبدو مفيداً للحصول على تنازلات من طهران وإعطاء إيران جزرة رفع الحظر الاقتصادي وتشجيع الاستثمارات الخارجية.

بالنسبة لإيران سيفهم هذا العرض على انه نوع من الانتهازية السياسية، التي ربما لن تدفع إلى إعطاء واشنطن ما تريد. ونفس المقولة تنطبق على الطريقة التي كانت إيران ربما تفكر فيها حينما تفاوضت مع واشنطن حول امن العراق، آنذاك كانت واشنطن في ورطة وتريد مساعدة إيران، عندها كانت الفرصة قد دقت الباب الإيراني لاستغلال ما تواجه الولايات المتحدة للحصول على تنازلات أميركية ربما بشأن ملفها النووي أو دور إقليمي أكبر، وهو الأمر الذي لم تفعله واشنطن.

في هذا السياق من المهم أن لا ننسى أن إسرائيل هي الحاضر الغائب في ملف العلاقات بين واشنطن وطهران، وما دام الإحساس الإسرائيلي بالتهديد من إيران قائما فلا يبدو أن تغيراً جوهري سيحدث في العلاقات بين البلدين. إن من المهم التذكير أيضا انه كلما عاد الحديث عن العلاقات الأميركية الإيرانية عاد الحديث ليتناول ملفا واحدا، مع العلم أن هناك ملفات متشابكة بين البلدين.

في الخلاصة؛ فإنّ التطورات التي حدثت طوال حوالي عقد في العلاقات الأميركية الإيرانية لا تشير إلى تغيير في الاستراتيجيات بل في التكتيكات أملا في تأمين مصالح، ولو كانت مؤقتة، وهي مسألة قد لا تعطي مؤشرا على بداية كسر في جليد العلاقات بين البلدين.

mahjoob.zweiri@alghad.jo

محجوب الزويري